

أبو يوسف الكندي

الدرس
7

أهداف الدرس

1. أن أتعرف شخصية الكندي الفلسفية؛
2. أن أدرك مسيرته العلمية ونبوغه المعرفي؛
3. أن أستفيد من أسلوبه وطريقته في الجدل والحجاج تمثلاً وتوظيفاً.

تمهيد

ارتبطت الفلسفة الإسلامية في نشأتها وتطورها وامتدادها بنشاط ثقافي ناهض، أسهمت فيه حركة النقل والترجمة، والتأثير والاحتكاك، وعج بكثرة المذاهب والاتجاهات الفكرية، وكان أبو يوسف يعقوب بن إسحاق الكندي أول فيلسوف عربي مسلم أسهم في التراث الفلسفي الإسلامي ممارسة وتوظيفاً وترشيدها.

فمن هو أبو يوسف يعقوب بن إسحاق الكندي؟ وما منهجه في التفكير؟ وما أهم آراؤه الفلسفية؟

نص الانطلاق

1. قال الكندي: «نحن نسأل المطلع على سرائرنا، والعالم اجتهداً في تثبيت الحجة على ربوبيته، وإيضاح وحدانيته، وذبّ المعاندين له الكافرين به عن ذلك بالحجج القامعة لكفرهم، والهاتكة لسجوف فضائهم، المخبرة عن عورات نحلهم المردية أن يحوطينا ومن سلك سبيلنا بحصن عزه الذي لا يرام، وأن يلبسنا سراويل جُنَّته الواقية، ويهب لنا نصرة غروب أسلحته النافذة، والتأييد بعز قوته الغالبة، حتى يبلغنا بذلك نهاية نيتنا من نصرة الحق وتأيد الصدق، ويبلغنا بذلك درجة من ارتضى نيته، وقبل فعله، ووهب له الفلح والظفر على أضداده الكافرين نعمته، والحائدين عن سبيل الحق المرتضاة عنده». [رسائل الكندي 1/105]



2. ويقول أيضا: «فحسن بنا- إذ كنا حراصا على تتميم نوعنا؛ إذ الحق في ذلك- أن نلزم في كتابنا هذا عاداتنا في جميع موضوعاتنا من إحضار ما قال القدماء في ذلك قولا تاما على أقصد سبله وأسهلها سلوكا على أبناء هذه السبيل، وتتميم ما لم يقولوا فيه قولا تاما على مجرى عادة اللسان وسنة الزمان، وبقدر طاقتنا، مع العلة العارضة لنا في ذلك من الانحصار عن الاتساع في القول المحلل لعقد العويص الملتبسة، توقيا سوء تأويل كثير من المتسمين بالنظر في دهرنا من أهل الغربة عن الحق، وإن تتوجوا بتيجان الحق من غير استحقاق، لضيق فطنهم عن أساليب الحق، وقلة معرفتهم بما يستحق ذوو الجلالة في الرأي والاجتهاد في الأنفاع العامة الكل الشاملة لهم...». [رسائل الكندي 103/1-104]

الفهم

استخلاص المضامين:

- استخلص من النصين شخصية الكندي العلمية، وأهم آرائه الفلسفية.

الشرح:

- سجوف: حُجِب.
- غروب أسلحته: حججه القاطعة، يقال: سيف غرب؛ أي قاطع حديد.
- تأويل: المراد به هنا: تفسير.

التحليل

نتناول هذا الدرس من خلال المسألتين الآتيتين:

المسألة الأولى: أبو يوسف الكندي ومسيرته العلمية

أبو يوسف يعقوب بن إسحاق الكندي - نسبة إلى قبيلة كندة العربية - (185هـ - 256هـ / 801م - 873م) عربي المنتسب، لقب لذلك بفيلسوف العرب، عالم مسلم، برع في الفلك، والفلسفة، والفزياء، والكيمياء، والطب، والرياضيات، والموسيقى، وعلم النفس، والمنطق. ولد بالكوفة، وعاش في البصرة في مطلع حياته، ثم انتقل إلى بغداد - وهي من حواضر الثقافة في عصره - فأقبل على العلوم والمعارف، ونهل من معينها زمن المأمون والمعتصم، قال عنه ابن النديم «فاضل دهره، ووحيد عصره في معرفة العلوم القديمة بأسرها» [الفهرست، ص 255] وقال

عنه الوزير جمال الدين القفطي «المشتهر في الملة الإسلامية بالتبحر في فنون الحكمة اليونانية والفارسية والهندية متخصص بأحكام النجوم وأحكام سائر العلوم، فيلسوف العرب وأحد أبناء ملوكها». [إخبار العلماء بأخبار الحكماء، ص 241]

ولتبحره وسعة اطلاعه في جميع العلوم، ونبوغه في علوم الفلسفة النظرية والعملية، ومعرفته بمختلف اللغات كانت للكندي منزلة وحظوة عند الخلفاء العباسيين مثل: المأمون والمعتصم، وفي عصره ساد مذهب الاعتزال، وذاع فكر التشيع، واحتدم النقاش بين الفرق الكلامية، وكثرت الأقوال الفلسفية نتيجة حركة الترجمة، والتأثير والتأثر، والتفاعل والاحتكاك بثقافة اليونان، فكان ذلك رافدا أساسيا في بزوغ فجر التفكير الفلسفي الإسلامي لدى الكندي بالإشراف على ترجمة الأعمال الفلسفية، والعلمية اليونانية إلى العربية في بيت الحكمة؛ حيث كان في مستوى هذه المسؤولية تحملا وأداء، ترجمة وأثرا بكل أمانة وموضوعية وإنصاف فيقول: «وينبغي أن لا نستحي من استحسان الحق واقتناء الحق من أين أتى، وإن أتى من الأجناس القاصية عنا والأمم المبينة لنا، فإنه لا شيء أولى بطالب الحق من الحق، وليس ينبغي بخس الحق، ولا تصغير بقائله ولا بالآتي به، ولا أحد بخس بالحق، بل كل يُشرفه الحق». [رسائل الكندي 103/1]

كان الكندي واثقا من فكره قويا بسلاحه العلمي، وعُدته المنهجية، وتشبعه العقدي في الذب عن إرثه الإسلامي الممدود الذي بات يشكل منظومته الحضارية؛ إذ يقول: «نحن نسأل المطلع على سرائرنا، والعالم اجتهدنا في تثبيت الحجة على ربوبيته، وإيضاح وحدانيته، وذب المعاندين له، الكافرين به عن ذلك بالحجج القامعة لكفرهم، والهاتكة لسجوف فضائهم، المخبرة عن عورات نحلهم المردية أن يحوطنا، ومن سلك سبيلنا بحصن عزه الذي لا يرام، وأن يلبسنا سراويل جنته الواقية، ويهب لنا نصره غروب أسلحته النافذة، والتأييد بعز قوته الغالبة، حتى يبلغنا بذلك نهاية نيتنا من نصره الحق، وتأيد الصدق».

المسألة الثانية: أثره في الدرس الفلسفي الإسلامي

أسهم الكندي في بناء فلسفة إسلامية، ومنطق فلسفي منذ نعومة أظافره؛ حيث أقبل على فنون الحكمة، وأحكم جميع العلوم العقلية: الرياضيات، والمنطقيات والطبيعات، والأخلاقيات، والسياسيات... وثبت المعاني الفلسفية في ألفاظ عربية دقيقة؛ فقد كان بحكم انتمائه إلى المدرسة المنطقية الأرسطية ينحو منحى فلسفيا، وينهج منهجا علميا استقرائيا واستنباطيا وتاريخيا، يقوم على العناية بسلامة المعنى، من الوجهة المنطقية، واستقامته في نظر العقل، وكان يختار اللفظ المناسب للكلام المناسب، مبنى ومعنى ومغزى، سياقاً ومقاماً وغرضاً. اعتمد الكندي في مشروعه الفلسفي في براهينه الدالة على وجود الله على ثلاثة أدلة:

1- دليل الحدوث: فالعالم حادث له أول، وله بداية في الزمان، فهو متناه، ومن ثم فلا بد له من محدث. يقول الكندي: «وليس ممكناً أن يكون جرم بلا مدة؛ فإنَّية الجرم ليست لا نهاية لها، وإنَّية الجرم متناهية؛ فيمتنع أن يكون جرم لم يزل، فالجرم إذن مُحدث اضطراراً، والمُحدث مُحدث المُحدث...» [رسائل الكندي 207/1] فالحدوث يستلزم التغير والزوال، والتحيز والامتداد.

2- دليل الوحدة: هذا الدليل يقوم على كثرة الموجودات ووحدتها، وهي من الصفات العارضة في العالم، وليست له من ذاته، فلا بد أن تكون راجعة إلى علة واحدة بالذات خارجة عن العالم هي الذات الإلهية المطلقة، قال الكندي: «فالوحدة قوام الكل، ولو فارقت الوحدة عادت ودثرت... فالواحد الحق إذن هو الأول المبدع، والممسك كل ما أبدع... فلا يخلو شيء من إمساكه وقوته إلا غار ودثر». [رسائل الكندي 142/1-143].

3- دليل النظام والتدبير: يستند إلى القياس التمثيلي؛ أي تمثيل ما في الكون من غائية ونظام وتدبير، بما في ذلك الإنسان باعتباره صورة مصغرة للكون، وهذا دليل الغائية الدالة على عظمة الخالق وقدرته المطلقة في الخلق والإيجاد والتقدير، قال تعالى: ﴿الْعَجْزُ أَغْلَبُ كُلِّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ قَدَرْنَاهُ﴾ [طه:50]؛ أي أعطى كل شيء في صلاحه، وحسن صناعته وإتقانه، وتدبير نظامه، في عالم الكون والإنسان والوجود. قال عز من قائل: ﴿مَا تَرَىٰ فِي خَلْقِ الرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ﴾ [الملك:3]، فليس هناك اختلاف أو خلل أو نقص، بل هو خلق متناسق مرتب في نظام محكم دقيق.

إن الكندي أحد بُناة الفلسفة الإسلامية، المؤصِّل لها، موضوعاً ومنهجاً وغاية، دأبه الأوكد اقتناء الفلسفة، والجد في طلبها، معتبراً أن الفلسفة الإسلامية الحقة ثمرة تفكير جديد، وتجديد وعي أكيد، وترشيد فهم سديد، وتجويد نظر واثق مفيد، لقد عمد الكندي بعد ذلك إلى الهجوم على أعداء الفلسفة الذين يسميهم «أهل الغربة عن الحق، وإن تتوجوا بتيجان الحق من غير استحقاق، لضيق فطنهم عن أساليب الحق، وقلة معرفتهم بما يستحق ذوو الجلالة في الرأي والاجتهاد»، فلا يتنكر للفلسفة -وهي علم الحق- إلا أهل الغربة عن الحق، وإن تتوجوا بتيجان الحق من غير استحقاق، لضيق أفقهم، وضآلة فهمهم.

الكندي هو أول من أدخل الفلسفة إلى العالم الإسلامي، وثبَّت أقدامها، وأوجد لها مقاما معترفاً به في حظيرته، وجعلها جزءاً من تراثه، وتطلعاته، وقيمه، وصيغة من صيغ التعبير عن ذاته، ومعنى وجوده، وما على اللاحقين من بعده إلا أن ينهجوا نهجه، ويقتفوا خطاه وأثره، داباً عن الحق، واستمسكاً بالعروة الوثقى التي لا انفصام لها. [خطاب الفلسفة العربية، ص 33-35 بتصرف]



وصفة القول إن الكندي دعا إلى التوفيق بين حقائق العقل وحقائق الايمان في ألفة ونظام، ووحدة وانسجام، فلا يتردد في تأويل بعض المفاهيم الدينية بحيث تتفق ومثيالاتها في الفلسفة كي تكون أقرب موئلا، وأوثق صلة بالإسلام، من حيث جوهره وروحه في التأسيس والبناء والوحدة، وحسن التدبير، ولعل هذه الروح التوفيقية تسري في جميع رسائل الكندي ومؤلفاته، إجمالا وتفصيلا، بحيث نلفيه أول من تفتن لهذه القضية، وأنس منها آية الرشد والتمام، فهو أول من شق الطريق في المشروع التوفيقى السديد، محترما قداسة الوحي، وحرمة الدين وفطريته، وسداد العقل وسلامته، ولغة الفهم والافهام والتفهم، يقول الكندي «فحسن بنا- إذ كنا حراسا على تتميم نوعنا؛ إذ الحق في ذلك- أن نلزم في كتابنا هذا عاداتنا في جميع موضوعاتنا من إحضار ما قال القدماء في ذلك قولاً تاماً على أقصد سبله وأسهلها سلوكاً على أبناء هذه السبيل، وتتميم ما لم يقولوا فيه قولاً تاماً على مجرى عادة اللسان»

التقويم

1. أبين معالم شخصية الكندي الفلسفية؛
2. أحدد منهج الكندي في الدرس الفلسفي؛
3. أذكر أهم القضايا الفكرية التي تناولها الكندي في مشروعه الفلسفي.

الاستثمار

يقول الكندي: «... فينبغي أن يعظم شكرنا للآتين بيسير الحق، فضلا عما أتى بكثير من الحق، إذ أشركونا في ثمار فكرهم، وسهلوا لنا المطالب الحقية الخفية بما أفادونا من المقدمات المسهلة لنا سبل الحق فإنهم لو لم يكونوا لم يجتمع لنا مع شدة البحث في مددنا كلها هذه الأوائل الحقية التي بها تخرجنا إلى الأواخر من مطلوباتنا الخفية، فإن ذلك إنما اجتمع في الأعصار السالفة المتقادمة، عصرا بعد عصر إلى زماننا هذا، مع شدة البحث، ولزوم الدأب، وإيثار التعب في ذلك...». [رسائل الكندي 32/1-33]

أبرز من خلال النص موقف الكندي من فلسفة الأوائل في النظر والاعتبار والوظيفية، ومدى قيمتها في تأسيس منظومة الفلسفة الإسلامية.

الإعداد القبلي

أعد ورقة علمية عن شخصية الفارابي وفلسفته.